

أحاديث رمضان ١٤٣٥ - خواطر إيمانية - الدرس (٠١) : الحديث الشريف (بادروا بالأعمال
سبعاً ...)

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-٠٦-٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ،
وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته، وارضَ عنَّا وعنهم يا ربَّ العالمين ،
اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنَّات
القربات.

العمل الصالح علة وجود الإنسان في الدنيا بعد الإيمان بالله :

أيها الأخوة الكرام ، الإنسان كائن متحرك لكن هذه الطاولة كائن ساكن

الإنسان ما الذي يحركه ؟ حاجته إلى
الطعام والشراب ، حفاظاً على بقاء
الفرد، وحاجته إلى الطرف الآخر إلى
الزواج حفاظاً على بقاء النوع ، وحاجته
إلى التفوق حفاظاً على بقاء الذكر ، إذاً
الإنسان في الدنيا له حاجات ثلاث ،
لكن حينما جاء الله به إلى الدنيا - أريد
أن أستخدم مصطلحاً دقيقاً - ما علة
وجوده في الدنيا ؟ لماذا هو في الدنيا ؟



أي طالب بجامعة في الجامعة مطعم ، فيها ملعب ، فيها منتدى ، فيها مكتبة ، لكن علة وجود
الطالب في الجامعة الدراسة ، فالبطولة أن نكتشف في وقت مبكر علة وجودنا في الدنيا ، هذه العلة
تستتبط من آيات كثيرة ، الإنسان حينما يدينو أجله يقول :

﴿ رَبِّ اذْجَعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ﴾

[سورة المؤمنون : ٩٩-١٠٠]

إذاً علة وجود الإنسان في الدنيا بعد الإيمان بالله العمل الصالح لأنه ثمن الجنة ، الدليل :

﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة النحل : ٣٢]

حرص الإنسان على سلامته و سعادته و استمرار وجوده :

إذا الإنسان أثناء حركته طبعاً قد يقترب عملاً سيئاً فيشقى به ويهلك ، وقد يعمل عملاً صالحاً يسلم به ويسعد ، قد يقترب عملاً سيئاً يشقى به ويهلك ، وقد يوفق إلى عمل صالح يسلم به ويسعد ، بالمناسبة التسع مليارات إنسان في الأرض تنظمهم قواسم مشتركة واحدة



الإنسان قد يرتكب السيئات أثناء حركته في الحياة

لا يوجد إنسان على وجه الأرض إلا وهو حريص على سلامته ، وعلى سعادته ، وعلى استمراره ، فسلامته بالاستقامة ، وسعادته بالعمل الصالح ، واستمراره بتربية أولاده ، والإنسان له عقل يدرك وقلب يحب وجسم يتحرك ، العقل غذاؤه العلم ، والقلب غذاؤه الحب ، والجسم غذاؤه الطعام والشراب.

التسابق إلى الأعمال الصالحة :

الآن مادامت علة وجودنا في الدنيا العمل الصالح الشيء الدقيق يقول عليه الصلاة والسلام :

((بادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا ...))

[الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]



الفقر ينسي الإنسان كل شيء

أي تسابقوا إليها ، تسابقوا إلى عمل صالح :

((بادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا ...))

[الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

الحديث الشريف (بادروا بالأعمال سبعاً

أي إنسان لم يعجب بهذه المهمة ولم يلتفت لها ماذا ينتظره ؟ هذا كلام واقعي قال :

((... هل تُنظرون إلا فقراً مُنسياً...))

[الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

تقوم حرب تنتهي التجارة ، الذي عنده محلات هدمت ، عنده بيوت هدمت ، عنده معمل احترق ، بقي لاجئاً تحت خيمة ، من بناء أربعة طوابق ، وسيارات ، ومعامل ، ودخل فلكي لخيمة :

((... هل تُنظرون إلا فقراً مُنسياً...))

[الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

فاحتمال الإنسان أن يفقد ثروته له أسباب كثيرة :

((... هل تُنظرون إلا فقراً مُنسياً...))

[الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

هذا الفقر ينسي كل شيء ، كيف الإنسان عنده ملكات ، عنده ذاكرة ، عنده مكانة، عنده شخصية ، هناك مصائب تتسبه كل هذه الأشياء :

((... هل تُنظرون إلا فقراً مُنسياً...))

[الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]



يقابله أو :

((... أو غنى مُطغياً...))

[أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

الإنسان يغتني أحياناً من دون علم ، ما تسلح بالعلم ، العلم سلاح ، سيدنا علي : يا بني العلم خير من المال ، لم ؟ قال : لأن العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق ، يا بني مات خزان المال وهم أحياء ، هو حي لكنه عند الله ميت ، قال تعالى :

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾

[سورة النحل : ٢١]

الإنسان الحيّ بالمفهوم الإيماني :

الحقيقة في القرآن تعني حياة النفس ، نفس عرفت ربها ، بحثت عن منهجه ، تحركت وفق منهجه ، تقربت إليه بالعمل الصالح ، هذا إنسان حي لكن بالمفهوم الإيماني إنسان همه الطعام والشراب ، يعيش لحظته ، هذا إنسان عند الله ميت ، قال تعالى :

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾

[سورة النحل : ٢١]

فالحديث يقول :

((بادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعاً : هَلْ تُنْظَرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا...))

[الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

الإنسان لا يستطيع أن يحكم على المستقبل ، أنا الآن وضعي جيد ، أما المستقبل فلا يملكه أحد إلا الله :

((... هَلْ تُنْظَرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا ، أَوْ غِنَى مُطْغِيًا...))

[الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

بطولة الإنسان أن يعيش حدث الموت :

أيها الأخوة الكرام ، قالوا : العقل أن تصل إلى الشيء قبل أن تصل إليه ، أحياناً يقولون بالبرمجة اللغوية العصبية : ابدأ من النهاية ، أنا أعيش ، عندي بيت ، وزوجة ، وأولاد ، وبنات ، وكنائن ، وأصهار ، ولي مكانة اجتماعية؛ سهرات، حفلات، ولاثم ، زيارات ، سياحة



لكن هناك موتاً بعد ذلك ، البطولة أن تعيش حدث الموت ، طبعاً إن عشت حدث الموت لا يلغى عملك ، تؤسس معملاً وتتاخر وتتنزوج وتشتري بيتاً ، هذا لا يتناقض مع هذا ، لكن أنت عندما تعرف الله عز وجل تصبح حركتك صحيحة ، حركتك وفق منهج الله ، لذلك :

((... هَلْ تُنْظَرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا ، أَوْ غِنَى مُطْغِيًا...))

[الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

هذا المستقبل أنتم بين أيديكم قصص الناس ، إنسان فجأة نقطة دم لا يزيد حجمها عن رأس دبوس تتجمد في أحد أوعية الدماغ يصاب بالشلل ، بمكان فقد بصر ، بمكان فقد ذاكرة ، هذا شيء بين أيدينا يقول لك : خثرة بالدماغ ، والخثرة لو تجمدت لسدت بعض الأوعية، يقول لك : سكتة دماغية، هناك سكتة قلبية وسكتة دماغية ، أي الإنسان كل إمكاناته ، كل شخصيته الكبيرة ، كل أملاكه ، كل هيمنته ، كل ذلك منوط بنقطة دم تتجمد في أوعية دماغه ، منوط بسببولة دمه فقط ، منوط بضربات قلبه ، هذه القلب توقف ، بناء مؤلف عشرين طابقاً ملكه لم يعد له ، توقف القلب فأين

البطولة ؟ أن تعيش المستقبل ، بل أن تبحث عن الحقيقة المرة لأنها أفضل ألف مرة من الوهم المريح .

من عرف سرّ وجوده عرف أنه مخلوق للجنة :

إذا الإنسان إذا عرف سرّ وجوده ، أنت مخلوق للجنة تفق في هذه الآية :

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾

[سورة الليل ١-٤]

تسع مليارات إنسان جميعهم يتحركون ، كل إنسان له هدف ، لكن ممكن أن الذات الإلهية أنزلت هذا السعي المختلف



المؤمن بنى حياته على العطاء

في حقلين فقط ؟ أول حقل :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾

[سورة الليل الآيات : ٥-٦]

صدق أنه مخلوق للجنة ، وبناء على هذا التصديق اتقى أن يعصي الله ، وبناء على هذا التصديق بنى حياته على العطاء ، يا من جئت الحياة فأعطيت و لم تأخذ ، إنسان ألف كتاباً عن رسول الله جعل له مقدمة ، تأثرت بها قال له : " يا سيدي يا رسول الله ، يا من جئت الحياة فأعطيت و لم تأخذ ، يا من زكيت سيادة العقل ونهنت غريزة القطيع ، يا من هياك تفورك لتكون واحداً فوق الجميع ، فعشت واحداً بين الجميع ، يا من كانت الرحمة مهجتك ، والعدل شريعتك ، والحب فطرتك ، والسمو حرفتك ، ومشكلات الناس عبادتك " .

تمتع المؤمن بنعمة الأمن :

إذا الإنسان حينما يكون في حركته وفق منهج الله عنده حالة اسمها أمن ، أيها الأخوة والله لا أبالغ والآية كذلك لا يتمتع بنعمة الأمن إلا المؤمن ، والدليل :

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

[سورة الأنعام : ٨١-٨٢]



نعمة الأمن أكبر نعمة يمتلكها المؤمن

أيها الأخوة الكرام ، الأمن لا يعني ألا تصاب بشيء تلك السلامة ، قد يمضي خمسة أعوام ولا مشكلة هذه سلامة ، لكن هناك توقعاً للمرض ، أنت من خوف المرض في مرض ، من خوف الفقر في فقر ، توقع المصيبة مصيبة أكبر منها ، لكن أكبر نعمة يمتلكها المؤمن نعمة الأمن عنده شعور ، قال تعالى :

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾

[سورة التوبة: ٥١]

لنا ولم يقل علينا ،

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾

فلذلك الله يعطي المؤمن حالة أمن عجيبة ، أكاد أقول : لا يتمتع بهذه النعمة إلا مؤمن ، وهي أهم نعمة لأن توقع المصيبة مصيبة ، أنت من خوف الفقر في فقر ، من خوف المرض في مرض ، هل تصدقون أن أحد أسباب أمراض القلب الخوف من أمراض القلب ، بلمحة هناك جلطة ، بلمحة هناك سكتة قلبية ، القلق الشديد من أن يصاب بمرض أحد أسباب أمراض القلب ، لذلك إذا ما كان بين المؤمن وبين غير المؤمن بون شاسع ، حياة ثانية ، حياة فيها استقرار ، فيها ثقة بالله عز وجل ، فيها مكانة اجتماعية ، هذه السعادة أخواننا الكرام تتأتى عن طريق السكينة ، ولما إنسان يخطب ود الله ، الله ينزل على قلبه السكينة ، وبالسكينة تسعد ولو فقدت كل شيء ، وتشقى بفقدائها ولو ملكت كل شيء .

أكبر عطاء إلهي سعيد ، راض عن الله ، في البيت استقرار ، الابن يحترم والده احتراماً كبيراً وهكذا.

من تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت :

لذلك :

((.. هل تُنظرون إلا فقراً مُنسياً ، أو

غنى مُطغياً ، أو مَرَضاً مُفْسِداً ، ...))

[الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

هناك مرض يفسد حياة الإنسان ، أي

مدة ثلاثين سنة وهو على الفراش ، أنا



من تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت

أقول: عمرك لا يتغير ، ثابت لا يزيد ولا ينقص ، لكن بين أن تقضي ثلاثين سنة و أنت واقف ، نشيط ، متحرك ، و بين أن تقضي ثلاثين سنة بشكل أفقي على الفراش !! الأمر أمر لكن من تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت ، هناك مكافآت إلهية من الله عز وجل في الدنيا قبل الآخرة ، إذاً:

((... أو هَرَمًا مُفْنِدًا ...))

[الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

القصة يعيدها عشر مرات ، يأتي ضيوف يقول لهم : لا يطعموني ، يخافون أن يلتقي مع ضيف ، أما أنا والله مؤمن إيماناً كإيماني بوجودي إنسان اتقى الله بشبابه يمتعه الله بعقله في شيخوخته ، التفاوت ليس بالشباب بالشيخوخة ، بخريف العمر ، هناك إنسان له مكانة، ذاكرته قوية ، هيمنته على أسرته قوية جداً ، محترم ، معزز ، مكرم ، و إنسان له تجاوزات لا تحتمل .

من أثر مصلحته على مصلحة الآخرين فهو عنصري لا إنساني :

((... أو موتاً مُجْهِزاً، والدجال ؟ ...))

[الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]



هذا الدجال يرى بعين واحدة ، الأعور ، الدجال يرى مصلحته كالغرب ولا يرى مصلحة الآخرين ، يرى حاجته إلى السلم ولا يرى حاجة العالم الثالث إلى السلم، يرى رغبته أن يكون الشعب غنياً عنده على حساب الشعوب الأخرى ، أي بشكل أو بآخر ، إما إنساني أو عنصري ، حينما يبني مجده على أنقاض الآخرين ، حينما يبني غناه على إفقارهم

حينما يبني عزه على إذلالهم ، حينما يبني حياته على موتهم ، هذا عنصري ، قد يكون الزوج عنصرياً ، قالت زوجته كلمة على أمه يقيم عليها النكير ، و هو يقضي السهرة كلها يستهزئ بأمرها ، و هي لا تستطيع أن تتكلم أية كلمة ، هذا عنصري أيضاً ، وبالمناسبة حق الفيتو بمجلس الأمن هذا حق عنصري ، لماذا خمسة دول تلغي القرار ؟ حق عنصري .

أيها الأخوة الكرام من الآخر إذا كان بالأرض عنصرية الحروب لا تقف ، حينما ترى لك ما ليس لغيرك ، وحينما ترى على غيرك ما ليس عليك ، الحروب لا تنتهي ، هذه العنصرية ، إذاً :

((... أو موتاً مُجْهِزاً، والدجال؟ والدجال شَرٌّ غائبٌ يُنْتَظَرُ، والساعة؟ والساعة أدهى وأمرُّ))

[الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين